به **وفي تأويل الخبر المروي** البر يزيد في العمر وهو معنى الدعاء المشهور
من قول الناس جعل الله في عمرك البركة وقد يموت كالد في عمره فان البركة في
العمر هو ان تدرك في عمرك القصير بفطنتك ما فات غيرك من عمره الطويل بغفلته فيه
فيرتفع لك في سنة ما لا يرتفع لغيرك في عشرين سنة وللخصوص من المقربين في مقامات
القرب عند التجلي بصفات الرب العالي يرتفع الدرجات وتزايد المقامات عند الاطلاع
واعمال قلوبهم اليسير في هذه الاوقات فيكون ذكرهم ذلك تسبيح وتهليل او حمد
او تدبر وتفهم وتعلق وتذكر لمشاهدة قرب او وجد او تلذذ الى حبيب او دنو الى قريب
افضل من امثال الجبال من اعمال الغافلين الذين هم يتعبون انفسهم ويجهدون ويتأخرون
مثل العارفين فيما ذكرناه من قبلهم بشهادتهم ورعايتهم لاوقاتهم وعزمهم في وقت
فيهم وحضورهم مثل العامل في ليلة القدر العمل فيها خير من الف شهر
وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر **وروينا**
عن علي رضي الله عنه انه قال كل يوم لا نعصي الله عز وجل فيه فهو لنا عيد
وكان الحسن اذا تلى قوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
قال اخواني هي والله ايامكم هذه ما قطعتموها بالصبر والاجتهاد ولا ضيعتموها بجلوس
والاجتماع من حسن المعاملة وبطالة عن الشغل بمعاملة والحصول عليه منها
كما قال   يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يعني في الايام الاخرة التي هي محصولهم
ومثواهم وكما قالت النفس الامارة بالسوء يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
يعني ايام الدنيا التي ضيعت العمر فيها فجعلت من الثواب والجزاء وهذا احد
الوجهين في قوله في الايام الخالية والوجه الاخر الخالية الماضية خلت اوقاتها
وخلت احكامها ونسينا شهواتها وبقينا عقوباتها فان فوت من هذه
المحاسبة للحبيب فلا تفوتك مقام العارفين الورعين ولا تنبني عن حال اهل
التائبين وهو ان تجعل لك وردين في اليوم والليلة لمحاسبة النفس وا فتقدها
مرة بعد صلاة الضحى لما مضى من ليلتك وما سلف من غدوتك فان رايت نعمة
شكرت الله وان رايت بلية استغفرت فان وجدت في حالك اوصاف المؤمنين
الذين وصفهم الله عز وجل بها ومدحهم عليها رجوت وطمعت واستبشرت فان
وجدت من قلبك وحالك وصفا من اوصاف المنافقين او خلقا من اخلاق الجاهلين
الذين ذمهم الله عز وجل بها ومقتهم عليها خفت واشفقت وتبت من ذلك وان
واستغفرت والمرة الثانية ان تحاسب نفسك بعد العتمة وقبل النوم لما مضى
من يومك من طول غفلتك وسهوك ومعاملتك وما فعلته من اعمالك كيف فعلتها
ولمن فعلتها وما ذكرته من سكونك وطمأنينتك لم ذكرته فتنتقد الزيادة والنقصان والتفوت
بترك التكلف والاخلاص في ذكرك وسكونك فيما ذكرته فيه وسكنته لاجل الله

عز وجل به فهو الاخلاص ثوابه فيه على الله عز وجل عند مرجعه اليه فاحمد الله المشكور
على نعمة التوفيق وحسن العصمة من المهلكة وما سكنت فيه ونحو كنت سهوا او
وعاجلا بنيابة بهوى للمتكلف الذي اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه هو
ولا تقبل من امته براء من التكليف وقد استوجبت فيه العفو عند نشر الحساب لان
يغفر المولى الكريم ما عمل حبيبه في الاستغفار بعد حسن التوبة وجميل الاعتذار ونية
ان يكون منزو خلته الى نفسه بتهلله بل عليه مشاهدة ماخذ من المعتبين من الخوف ما سلف
منه والطمع في قبول ما اسلفه ليبعد من المنام ويلهم عند الغفلة فتجفى لمليلته
بالقيام فيكون ممن وصف الله عز وجل في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفا وطمعا وقد قال بعض السلف كان احدهم يجلس يحاسب نفسه اشد من
محاسبة الشريك لشريكه **وقد قال** بعض العلماء من علامة المقت ان يكون
العبد ناظرا في عيوب غيره ناسيا لعيوب نفسه ما فتنة للناس على الظن محمل لنفسه
على الدنيا وترك محاسبة النفس ومراقبة الخالق من طول الغفلة عن الله عز وجل و
والغافلون في الدنيا هم الخاسرون في العقبى لان العاقبة للمتقين قال الله عز وجل
واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون وطول الغفلة من العبد
عن طبائع القلب من المعبود والغفلة في الكلام غلاف القلب في الباطن تقول العرب
غفلة وغلفة بمعنى كما تقول جبذ وجذب وخنثاب وحباشر وطبائع القلب حتى
تراكب الذنب بعضه فوق بعض وهو الران الذي يتعقبه الكسب فيكون عقوبة
له قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل المكاسب الخ
الخبيثة واكل الحرام وفي التفسير هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب واصل
الرين الميل والغلبة وهو التغطية ايضا يقال ران عليه النعاس اذا غلبه وران
الخمر على عقله اي غطته ومن هذا قول عمر رضي الله عنه في سارق سيد ابي الحج ما
دان معرضا فاصبح وقد رين به اي ما به الدين فغلبه واصل تراكم الذنوب في
اغفال المراقبة واهمال المحاسبة وتاخير التوبة والتسويف بالاستدراك وترك
الاستغفار والندم واصل ذلك كله هو حب الدنيا وايثارها على امر الله عز وجل وغلبة
الهوى على القلب الم تسمع الى قوله عز وجل ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقال في دليل الخطاب ونهى النفس عن الهوى يعني
عن ايثار الدنيا لان صريح الكلام وفحواه في وصفهم بالطغيان وايثار الحياة الدنيا
ثم قال طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فرتب اتباع الهوى عن طبائع القلب وطبائع
القلب عن عقوبة الذنب وفيه لان العقاب الصمم عن فهم الخطاب اما سمعته يقول لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقد جعل علي رضي الله عنه
الغفلة مقاما من مقامات الكفر فقال في حديثه الطويل وقام اليه سلمان فقال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)